

التجديد الديني في الفكر الإسلامي بين الأصالة والعصرية (محمد اقبال نموذجاً)

*Religious renewal in Islamic thought between authenticity and modernity
(Muhammad Iqbal as a model)*

سليمة براهمي

Brahmi-salima@univ-eloued.dz

جامعة الوادي (الجزائر)

تاريخ القبول: 2025/05/15

تاريخ الاستلام: 2024/06/20

ملخص:

إن موضوع التجديد الفكري بين الأصالة والعصرية يُعد من القضايا المحورية التي شغلت بال الكثير من المفكرين، ومن بينهم الفيلسوف والشاعر محمد إقبال. والذي يُعتبر رمزاً للتجديد الفكري والثقافي في العالم الإسلامي، حيث سعى إلى التوفيق بين الجذور العميقة للثقافة الإسلامية الأصيلة ومتطلبات العصر الحديث. ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول التطرق لمفهوم التجديد عند اقبال وأهم الأسباب التي دفعته لذلك، كما سنحاول إعطاء المنظومة التجديدية للفكر الإسلامي التي قدمها محمد اقبال، والأسس الفكرية التي اعتمد عليها في محاولته لتجديد الفكر الديني الإسلامي من خلال دعوته إلى فهم القرآن الكريم، وإحياء الاجتهاد، وتطوير مفهوم الذات، والتوفيق بين الدين والعلم، ذو الدعوة إلى وحدة المسلمين. الكلمات المفتاحية: تجديد الفكر الديني، محمد اقبال، الأصالة...

Summary:

The topic of intellectual renewal between authenticity and modernity is a pivotal issue that has preoccupied many thinkers, including the philosopher and poet Muhammad Iqbal. He is considered a symbol of intellectual and cultural renewal in the Islamic world, as he sought to reconcile the deep roots of authentic Islamic culture with the demands of the modern era. Through this research paper, we will address the renewal system presented by Muhammad Iqbal, through his call to understand the Holy Quran, revive ijtiḥad, develop the concept of self, reconcile religion and science, understand the objectives of Islamic law, and call for Muslim unity.

Keywords: Renewal of religious thought, Muhammad Iqbal, authenticity...

١. مقدمة

يعد موضوع التجديد الديني من أكبر و أهم مواضيع الفكر الإسلامي المعاصر الذي شغل بال الكثير من المفكرين؛ خاصة أولئك الذين أرادوا التوفيق بين الثوابت الدينية أو الأصول ومتطلبات العصر المتغيرة، و البحث في كيفية جعل الفكر الإسلامي فكراً حياً وفاعلاً في مواجهة التحديات المعاصرة دون التفريط في أصوله.

ولعل من أكثر الشخصيات التي حاولت ذلك؛ محمد إقبال الذي جمع بين الشعر والفلسفة والفكر، وساهم بشكل كبير في إثراء الفكر الإسلامي الحديث. فيعتبر بذلك رمزاً للنهضة والتجديد في العالم الإسلامي، حيث سعى إلى إحياء روح الإسلام الحقيقية وتنقيتها من الشوائب التي علقت بها عبر العصور، ومواجهة التحديات التي فرضها العصر الحديث. إذ سعى إلى تقديم رؤية تجديدية للدين الإسلامي، تتجاوز الجمود والتقليد، وتستوعب مستجدات العصر. وقد جاءت محاولته هذه في وقت كانت فيه الأمة الإسلامية تواجه تحديات جساماً، من بينها الاستعمار الغربي، والتخلف الحضاري، والانقسام السياسي.

إشكالية البحث :

- كيف يمكن فهم تجديد الفكر الديني عند محمد إقبال في ضوء التفاعل بين العصرية والأصالة؟

الأسئلة الفرعية:

- ما هي دوافع التجديد عنده؟ وما الهدف من ذلك؟

- ما هي الأسس الفكرية التي اعتمد عليها إقبال في محاولته لتجديد الفكر الديني الإسلامي؟

- ما هي أبرز المفاهيم التي قدمها إقبال في سياق تجديد الفكر الديني، مثل مفهوم الذات، ومفهوم الاجتهاد، ومفهوم الحركة؟ أهمية البحث:

- تتجلى أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على أحد أبرز المفكرين المسلمين في العصر الحديث، الذي سعى إلى تقديم رؤية تجديدية للفكر الديني الإسلامي، تواكب مستجدات العصر، مع الحفاظ على الأصول والثوابت.
- يساهم هذا البحث في فهم أعمق للتحديات التي واجهت الفكر الإسلامي في مطلع القرن العشرين، وكيف تعامل معها المفكرون المسلمون، ومن بينهم محمد إقبال.
- يقدم هذا البحث رؤية تحليلية لأفكار إقبال، تساهم في إثراء النقاش حول قضايا التجديد والإصلاح في الفكر الإسلامي المعاصر.
- إقبال كان على حظ وافر من علوم الإسلام العقلية والعقلية، وعلى دراية واسعة بتعاريف الفلسفة، وكان عميق الفهم لحركة التاريخ، وشديد الوعي بحقائقه وأحداثه.

الأهداف:

- تحليل الأسس الفكرية التي اعتمد عليها محمد إقبال في تجديد الفكر الديني الإسلامي.
- توضيح المفاهيم الأساسية التي قدمها إقبال في سياق تجديد الفكر الديني، مثل مفهوم الذات، ومفهوم الاجتهاد، ومفهوم الحركة.
- تقييم مشروع إقبال التجديدي، من خلال دراسة أبرز الانتقادات التي وجهت إليه.
- تحديد مدى تأثير أفكار إقبال على الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر.
- توضيح فلسفة الرؤية التجديدية لمحمد إقبال.

- توضيح موقف محمد إقبال من الاجتهاد والإجماع.

منهج البحث: اعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليل والوصفي؛ وذلك من خلال جمع المادة العلمية من بينها مؤلفات محمد إقبال والدراسات والأبحاث التي تناولت فكره خاص التي ناقشت قضايا التجدد والإصلاح في الفكر الإصلاحي، ثم تحليل هذه النصوص واستخلاص المفاهيم والأفكار الأساسية التي قدمها إقبال في منظومته الإصلاحية وعرض أهم أفكار إقبال بشكل موضوعي.

هيكل البحث:

قسمت هذا البحث لأربعة محاور أساسية وهي:

1 - ترجمة محمد إقبال.

2_ الفكر التجديدي في فلسفة إقبال.

3_ آليات التجديد عند محمد إقبال.

4_ تفعيل مبدأ الاجتهاد.

أولاً: ترجمة محمد إقبال.

أ_ مولده ونشأته:

1 مولده ونسبه:

هو محمد إقبال بن الشيخ نور محمد بن محمد رفيق بن جمال الدين بن لولو حج بابا صالح، ولد في سيالكوت إحدى مدن البنجاب الغربية عام 1877م. ويرجع نسبه إلى براهمة كشمير، حيث أسلم أحد أجداده قبل مائتي سنة في عهد الدولة المغولية في الهند، وهاجر محمد رفيق جد إقبال من قرية لوهر في كشمير إلى مدينة سيالكوت من ولاية البنجاب، وسعى محمد رفيق في طلب الرزق وكسب المعيشة، يعينه ابنه محمد نور والد إقبال في ذلك وعرف ذلك البيت منذ ذلك اليوم بالصلاح والتصوف (إقبال، 2011، صفحة 14)

2نشأته:

نال إقبال اهتمام كبير من قبل والده الذي حرص على تربيته تربية صالحة، فكان معلمه الأول الذي يغذيه بالعلم والأخلاق، وكان شديد الحرص على أن يتعلم ولده القرآن الكريم، فأدخله أحد الكتاتيب المعدة لتحفيظ القرآن في سيالكوت وأراد الوالد لابنه أن يتفرغ لدراسة الدين الحنيف، ولكن صديقه مير حسن - أستاذ اللغة العربية والفارسية في كلية سيالكوت لم يوافق الرأي، وقال له: هذا الصبي ليس لتعليم المساجد، وسيبقى في المدرسة، ودخل إقبال المدرسة الابتدائية في سيالكوت، وبعدها التحق بمدرسة البعثة الاسكتلندية للدراسة الثانوية، إذ تلقى أصول اللغة العربية والفارسية على يد مير حسن، وبدأ إقبال في مرحلة مبكرة من حياته بكتابة الشعر، (كاظم، 2009، الصفحات 48-50) وبعد اكماله الدراسة في الكلية الاسكوتية سنة 1895 م، تحصل على شهادة البكالوريوس في الأدب عام 1897م، وفي سنة 1899 حصل على شهادة الماجستير، (طبيب، دت، صفحة 1) ومن أبرز الذين تلقى إقبال على أيديهم العلم في جامعة لاهور المستشرق توماس آرنولد، الذي أعجب بفطنة إقبال وذكائه، وكذلك استفاد إقبال كثيراً منه في النصيح والإرشاد (البهي، 1957، صفحة 382). وبعد حصوله على درجة الماجستير في الآداب عين معيداً للغة العربية في الكلية الشرقية بجامعة البنجاب ثم أستاذاً مساعداً في الكلية الحكومية بلاهور، وبعد ذلك فضل الهجرة إلى أوروبا اتباعاً لمشورة أستاذه توماس آرنولد وعمره يومئذ اثنتان وثلاثون سنة ليلتحق بجامعة كامبردج بإنجلترا ويدرس الفلسفة بها، بعد ذلك سافر إقبال من إنجلترا إلى ألمانيا

للحصول على شهادة الدكتوراه فتعلم اللغة الألمانية والتحق بجامعة ميونخ وحصل منها على شهادة الدكتوراه (الندوي، 1960، الصفحات 19-20)، ثم سافر إلى لندن، ليدرس القانون والسياسة، ، فحصل على إجازة الحقوق بامتياز من لندن، و لم يقتصر نشاط اقبال العلمي والثقافي في أوروبا على الدراسة فقط، وإنما استطاع أن يجعل من نفسه داعية للثقافة الشرقية والفكر الإسلامي وتعاليمه بين الأوروبيين، وأثناء إقامته في لندن قبل عرضها من جامعتها لتعيينه أستاذا للغة العربية خلفا لأستاذه توماس آرنولد، ولم يقتصر على ذلك، بل بدأ يلقي المحاضرات عن الإسلام في هذه الجامعة، فكانت موضع اهتمام الطلبة، وقامت الصفاة بنشرها والتعليق عليها (كاظم، 2009، صفحة 42)، ثم انتقل بعد ذلك إلى اسبانيا لزيارة الأماكن التاريخية مثل قصر الحمراء، وجامع قرطبة

و الحاصل أن الشاعر محمد اقبال كانت له مكانة بارزة في المجال العلمي والتربوي والاصلاحي في القارة الهندية

ثانياً_ نشاط اقبال الفكري:

عاد اقبال إلى بلاده عام 1908 بعد أن قضى في بلاد الغرب ثلاث سنوات وقرر الاستقرار في بلاده، فبدأ مرحلة جديدة في نشر أفكاره وآرائه بين الناس، عين سنة 1909 أستاذ للفلسفة في كلية لاهور الحكومية، وبجانب ممارسته للتدريس أخذ يمارس وظيفته الجديدة وهي المحاماة، وأخذ يدافع عن المظلومين ، إلا أنه لم ينجح في التوفيق بين الوظيفيتين فاستغنى عن التدريس واكتفى عنها بالمحاماة (سالم، 1430هـ، صفحة 43؛ كاظم، 2009).

وكان من الذين دعوا لإقامة دولة أفغانستان ، له العديد من الرحلات والزيارات خارج الهند ، من بلاد العرب والغرب والدول الإسلامية، فقد ذهب إلى مصر وفلسطين وأفغانستان وإيطاليا واسبانيا وفرنسا، ورأس مسلمي الهند وجمعية حماية الإسلام، وعلى الرغم من النشاط الفكري والسياسي الواسع الذي امتاز به اقبال وعقده للمؤتمرات وحضوره للدعوات وترأسه للجلسات، إلا أن ذلك لم يمنعه عن الكتابة والتأليف (كاظم، 2009، صفحة 45).

أ- شخصيته العلمية :

يعد اقبال رجل قانون وسياسة من طراز ممتاز، فالكتب التي صدرت عن اقبال فيها آراء مختلفة حول الشاعر ونتاجه الأدبي والفكري بسبب مواهبه المتعددة، فهناك ن يراه فيلسوف ومن يراه شاعرا ومن يراه داعية بل هناك من يراه شاعر الإنسانية ككل. (طيب، دت، صفحة 3) وهو مشهور أيضا بمساهمته في الفلسفة الإسلامية (بلحسن، 2016، صفحة 43). كما اهتم بالتأمل المتواصل في التراث الإسلامي والفكر الإنساني في مختلف مراحل، خاصة في مرحلته الأخيرة التي تعددت فيها المذاهب والآراء، والتي لم تفلح في حل الأزمة التي يعاني منها الانسان المعاصر. (طيب، دت، صفحة 3)

ب _ اهم مؤلفاته:

ترك اقبال للمسلمين وللإنسانية جمعاء ثروة فكرية وشعرية تصل إلى اكثر من اثني عشر مؤلفا (الخفاجي، 2016، صفحة 244)؛ من بينها:

- 1- علم الاقتصاد، بدون تاريخ
- 2- تطور فلسفة الإلهيات 1905-1908م
- 3- أسرار الذات 1915
- 4- رموز الذات 1918
- 5- زبور العجم 1927
- 6- تجديد التفكير الديني في الإسلام، 1930

7- ماذا نفعل به يا أمم الشرق 1936 (اقبال، 2011، صفحة 45)

ثانيا- الفكر التجديدي في فلسفة اقبال :

كان هدف إقبال بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناء جديدا، أخذ بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام إلى جانب ما جرى على المعرفة الإنسانية من تطور في نواحيها المختلفة ولأجل هذا الهدف نادى محمد إقبال بتجديد التفكير الديني في الإسلام.

أ- دو افع التجديد عنده:

لقد رأى إقبال ان العالم الإسلامي مريض بأمراض شتى، بعضها موروث، وبعضها قادم من الحضارة الغربية الحديثة، فنظر إلى العالم الإسلامي نظرة تشخيصية فاحصة، ليعرف مرضه، ويصف له العلاج اللازم، فرآه مريضا بأمراض كثيرة، تقضي منه تكريس وقت طويل لعلاج، فكرس حياته كلها لعلاج هذه الامراض المستعصية في العالم الإسلامي. (بلحسن، 2016، صفحة 48)

ومن بين هذه الأسباب والدوافع:

- 1- عامل سياسي يتمثل في السيطرة الامبريالية التي أخذت بخناق الشعوب الشرقية والشعوب الإسلامية خاصة.
- 2- عامل ديني يتمثل في التناقض الصارخ بين واقع المسلمين وبين حقيقة دينه، لقد كان إقبال يحتفظ في أعماق فكره ووجدانه بتلك الصورة الرائعة عن الإسلام، بينما يرى هؤلاء المسلمون الذين أخذوا شكليات هذا الدين في أحط دركات الانحطاط و التخلف ، ولهذا كانت روح الإسلام الحقيقية والواقع الاجتماعي للمسلمين هي العناصر التي نسجت الخيوط لفكرته الإصلاحية ولمحاولته التجديدية. (طيب، دت، صفحة 79).
- 3- الجهل العام عن أساليب الحياة الناجحة، وفي مقدمة ذلك الجهل بالعلوم العملية وبأساليب المنية والتنظيم الاجتماعي.
- 4- فساد العقيدة، وتحول التوحيد الإسلامي إلى وثنية متسترة وراء عبادة الأولياء وتقديس الأضرحة، وتقديس المشعوذين والسحرة، والانجذاب للأوهام.
- 5- الزهد في الحياة، وانتشار الرهبة والطرق الصوفية، بانتشار الروح الجبرية و التكاسلية و التاوكلية، فكف الناس عن العمل، واستسلموا للأقدار في يأس وانقادوا كالأنعام المسخرة يوجهها من شاء كيف شاء.
- 6- اقبال الشباب المسلمين على الحضارة الغربية مهورين بقوتها ومفاتها ومباهجها، إذ لم يجوا في الواقع آبائهم ومجتمعاتهم إلا ما (طيب، دت، صفحة 80).
- 7- ركود الفكر الإسلامي المتأخر؛ يقول اقبال: " ظل التفكير الديني في الاسلام راكدا خلال القرون الخمسة الأخيرة و هذا الركود جعل الفكر الإسلامي يفقد أصالته ويقع تحت تأثير الحضارة الغربية وينهر بإنجازاتها، ولهذا فهو يتعجب من سرعة أقبال المسلمين على هذه الحضارة.
- 8- الجمود الفكري؛ نعى إقبال على المسلمين جمودهم على القديم وتقصيرهم في الابداع والابتكار، فقال: "والجمود على القديم في الدين ضار كما هو ضار في أي ناحية أخرى من نواحي النشاط الإنساني، فهو يقضي على حرية الذات المبدعة ، ويسد المنافذ الجديدة للإقدام الروحاني وهذا هو السبب الرئيسي في عجز الطرق التي اتبعها صوفية القرون الوسطى عن تخريج أفراد لهم قوة الابتكار على كشف الحق القديم (اقبال، 2011، صفحة 211).

9- المادية الغربية؛ يرى اقبال ان الحضارة الغربية التي ولدت من خلال الكشوف العلمية ، بثرت وجدان الانسان، ولوثت حياته وألقت به في جحيم مادي، والعلاج الوحيد الممكن هو معرفة أكثر بأنفسنا وارواحنا بدل البحث عنها في المعدة، إن البشرية تريد أن تعلم كيف تتقن حياتها وكيف تخلد شخصيتها، إن بني آدم يطلبون الثبات ويطلبون دستوراً للحياة وهذا لن يأتي لهم الا في الدين الحق (شبلي، دت، صفحة 56).

ب- أهداف التجديد عند اقبال:

1_ صياغة جيدة للعقيدة الإسلامية، وفي هذا المجال أسس مبادئ جديدة للإسلام في ضوء محتويات القرآن الكريم والفكر الفلسفي ، والعلمي، فعالج قضايا الإيمان بالله والإيمان بالبعث، والإيمان بمحتوى التوحيد الإسلامي كله بما في ذلك عقيدة القضاء والقدر.

2_ صياغة مبادئ جديدة لأخلاق الفرد المسلم، وفي هذا المجال حدد القيم الجديدة الكفيلة بشحن المسلم بفعالية ودينامية خلاقة، فأعطى للعمل وضبط النفس ونشدان الكمال الذاتي والجهاد وهجا جديداً.

3- تجديد أو بعث العناصر الخلاقة في الفقه الإسلامي كي يماشي الحياة المتطورة للمسلم، وذلك بالإلحاح على فتح باب الاجتهاد ، واستخدام الاجماع كأصل من أول التشريع استخداماً يغطي كل الاحتياجات المستجدة في دنيا المسلم ومجتمعه. (طيب، دت، صفحة 87)

ثالثاً_ آليات التجديد عند محمد اقبال:

أقصد بالآليات المنهج الفلسفي والفكري المتبع من قبل اقبال من أجل صياغة جديدة لفكر ديني يتوافق مع العصرنة والاحتياجات الجديدة للمسلمين وللإنسانية ككل، والتي تمثلت في فلسفة الذات وتفعيل مبدأ إنسانية الانسان والتوفيق بين الأصالة والتجديد.

أ_ تفعيل فلسفة الذات :

كان صاحب فلسفة عرفت بالفلسفة الذاتية، وهي الفلسفة التي عرف بها اقبال نفسه، وقدمها بوصفها فلسفة لها مقومات وركائز وشروط، اجتهد في ابداعها وبنائها ورفدها بالمعارف والتجارب والتأملات، (اقبال، 2011، صفحة 77)، حيث لاحظ اقبال أن أزمة العالم الإسلامي منذ زمن طويل لم تكن أزمة في الوسائل وإنما في الأفكار، لذلك اتخذت (فلسفة الذات) عنده في أول الأمر منحنى اصلاحياً أراد به تغيير المسار الذي التزمه الفكر الإسلامي منذ القرن السابع الهجري، حين ارتعى في أحضان مذهب وحدة الوجود، وهو المذهب الذي شكك الناس في قيمة الذات الإنسانية، حين عد وجودها وجوداً إضافياً منفعلاً لن يلبث أن يفنى في الوجود الحقيقي- وجود الله تعالى- دون أن يترك أثراً ملموساً أو وسماً ظاهراً في هذه الحياة. (بلحسن، 2016، صفحة 46). إذن ما هي حقيقة الذات عند اقبال؟

يرى اقبال أن شخصية الإنسان هي (أنا) أو ذاته التي نشأت في الزمن المجرد، وهي بانفراديتها تصل إلى حضرة (أنا اللامحدودة) يعني الذات الإلهية، (طيب، دت، صفحة 104) وهذا لا يعني الاتحاد والحلول في الذات الإلهية بل تحقيق الخلود والذي يمكن الوصول إليه بالجهد، والخلود أو الحياة الخالدة هي _ عند إقبال _ حالة من أحوال الحياة.

وطريق الخلود أو لبقاء عند إقبال هو الطاعة لله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) وضبط النفس، وبهذه الطريقة التي هي ليست سهلة لعامة الناس، يمكن الوصول بها إلى درجة النيابة الإلهية وهي درجة خليفة الله في الأرض أي نائب الحق في الأرض، يقول اقبال: "أن هدف الانسان الديني والأخلاقي إثبات ذاته لا نفياً، وعلى قدر تحقيق انفراده أو وحدته يقرب من الهدف. (اقبال، ديوان الاسرار والرموز، 2013، صفحة 19)

ويستشهد بالأثر النبوي بقوله عليه الصلاة والسلام: "تخلقوا بأخلاق الله"، فكلما شابه الإنسان هذه الذات الوحيدة كان هو كذلك فردا بغير مثال، وتنقض فرديته على قدر بعده من الخالق، والإنسان الكامل هو الأقرب لله¹ وحين يصل الإنسان إلى هذه الدرجة الرفيعة من درجات رقي الذات (أنا) تصير يده في الله، فالخلود أو البقاء بالله هو الهدف، وليس الفناء في ذات الله تعالى كما يرى صوفية (وحدة الوجود). (اقبال، ديوان الاسرار والرموز، 2013، صفحة 19) يقول اقبال: "ولكن ليس القصد من القرب، أن يفني وجوده في وجود الله، كما تقول فلسفة الإشراق، بل هو نقيض هذا يمثل الخالق في نفسه (اقبال، ديوان الاسرار والرموز، 2013، صفحة 20).

أ-1/ أنواعها:

عكست فلسفة الذات ثلاثة أنماط من التجارب التي عايشها اقبال هي: التجربة الدينية والتجربة الشعرية والتجربة الفلسفية.

وكان محور التجربة الدينية هو العلاقة بالله سبحانه في أسى صورها، أما التجربة الشعرية فهو العلاقة بالروح في أسى تجلياتها، في حين أن محور التجربة الفلسفية هو العلاقة بالعقل في أسى تجلياته كذلك، وهي تجارب عميق، لكنه لم يكن يعطيها الدرجة نفسها، ولا يجعلها متكافئة، بل كانت التجربة الدينية أسى من الآخرين، لأن الدين في أكمل صورته يسمو فوق الشعر، فهو يتخطى الفرد إلى الجماعة، وفي موقفه من الحقيقة الكلية يتعارض مع عجز الانسان وقصوره، فهو يفسد مطالبه، ويستمسك بأمل لا يقل شيء عن شهود الحق شهودا مباشرا. (اقبال، تجديد الفكر الديني في الاسلام، 2011، صفحة 77)

أ-2/ نموذج عن التجربة الدينية (الصلاة):

يعتبر إقبال أن الصلاة هي مجال التجربة الدينية المتاحة لكل مسلم والمفروضة عليه لتنظيم علاقته بالله، إلا أن هذه الصلاة تتفاوت قيمتها وثمرتها بتفاوت الوعي الذي تحققه في مجال الاتصال بالله، فصلاة النبي صلاة مبدعة في الغالب، أي أنها تعقب اتجاهها نفسيا لخلق عالم أخلاقي يختبر فيه النبي نتائج وحيه، وصلاة الصوفي صلاة عرفانية يعقبها إشراق خاص تطمئن إليه النفس، وهذه الصلاة التي تستهدف المعرفة تشبه التأمل ومع ذلك فالصلاة في أسى مراتبها تزيد كثيرا من التأمل المجرد، أنها فعل حيوي عادي تكتشف به شخصيتها فجأة مكانها في الوجود أو في الخضم الأكبر للحياة. (اقبال، تجديد الفكر الديني في الاسلام، 2011، الصفحات 104-105)

فقد حاول اقبال أن يعطي الصلاة قوة معنوية تجعلها غريزة نفسية، لأنها تقوم على ميول لا تقاوم نحو المطلق، ولو حاول المؤمن تجاهل هذه الميول. (طيب، دت، صفحة 117)

ولكن اقبال يضيف إلى هذه الوظيفة أن الصلاة تجربة نحو المعرفة أو نحو مواجهة الحقيقة الكلية، إذا مارسها المؤمن على طريقة عرفانية عميقة، والقرآن يؤكد أنها كانت (فعلا حيويا) يتواصل فيه المؤمن بربه. (اقبال، تجديد الفكر الديني في الاسلام، 2011، الصفحات 104-105)

ب- آلية تفعيل إنسانية الإنسان:

لاقبال نظام فكري معين لحياة الانسان ونقطة الأساسية هي إنسانية الانسان، وحين دراسة فلسفته نجد جميع عناصرها تور حول احترام إنسانية الانسان، ولم تكن أفكاره وفلسفته مجرد فلسفة خيالية، وإنما كانت هناك صلة قوية

برفعة إنسانية الإنسان في حياته العملية. (طيب، دت، صفحة 5) وهذا نابع من الإسلام لأن الإسلام دين يرغب في أن تصل الإنسانية إلى أوج الكمال، ولذلك قام برفع شأن الإنسانية في كل عصر ومصر، كما ان النظام الإسلامي مزج بين المادة والروح ويعتبرهما جزئين مكملين للإنسانية الفاضلة، وبدون إحدهما لا يمكن أن تكتمل الإنسانية، وترتفع إلى درجات الكمال وخصائص الامتزاج الحقيقي بين المادة هي في الواقع لا توجد في أي دين سوى في نظام الحياة الإسلامي. (طيب، دت، صفحة 8)

ب1/- قوة التخليق:

يرى محمد إقبال أن الله تعالى منح الإنسان أيضا قوة التخليق التي تجعله قاهرا على الأشياء (المادية)، ويتصور أن الأشياء ليست جامدة لا تقبل أي تغير، ويتصور أيضا أن المؤمن بحق يقدر على تخليق أشياء جديدة، فهي تعتبر إضافة جدية إلى ما يوجد في الكائنات التي يعتبرها إقبال (عادة الله) أو (تجربة بدائية) لله الخالق المطلق، فإذا انسجمت قدرات الأدمي مع قدرات الله (سبحانه وتعالى)، لصنع الأدمي المعجزات، واكتشف بعض الحقائق المجهولة.

يقول إقبال: ان على المسلم اليوم عملا شاقا عليه أن يعيد النظر في الإسلام كله دون انقطاع عن الماضي (إقبال، ديوان الاسرار والرموز، 2013، صفحة 20_21)

ب2/ مبدأ الخلافة:

يقول إقبال: "والنيابة الإلهية في هذه الدنيا هي أعلى درجات الرُقي الإنساني. ونائب الحق _الله_ خليفة الله في الأرض. وهو أكمل ذات تطمح إليها الإنسانية، وهو معراج الحياة الروحي .

تلتئم في حياة نائب الحق عناصر النفس المتضادة، توحيدها أعلى القوى وأعلى الأعمال. فيتوحد فيها الذكر والفكر، والخيال والعمل، والعقل والخصائص الجبلية. فهو آخر ثمرة في شجرة الإنسانية. تحبب إليه الصعاب والشدائد في سبيل رُقي الحياة. وهو الحاكم الحق لبني الإنسان؛ لأن حكومته هي في الحقيقة حكومة الله ... ونحن نقرب منه على قدر ارتقائنا. وبهذا القرب تعلق قيمتنا في الحياة .

وأول شرط لظهور نائب الحق أن ترقى الإنسانية في جانبها الروحي والجسمي. فإن ارتقاء الإنسانية يقتضي ظهور أمة مثالية تتجلى في أفرادها في الجملة هذا التوحد الذاتي، وتصلح لأن يظهر فيها نائب الحق .

فمعنى سلطان الله في الأرض أن تقوم فيها جماعة شورية يتوحد أفرادها، ويقوم على هذه الجماعة واحد يُمكن أن يُسمى نائب الحق أو الإنسان الكامل، وهذا الإنسان الكامل يبلغ ذروة الكمال التي لا تُتصور فوقها ذروة. (إقبال، ديوان الاسرار والرموز (20, p. 2013 ,

ج_ آلية الموافقة بين الاصاله والتجديد:

يؤمن إقبال بذاتية الإسلام وعبقريته الأصلية وقدرته على تزويد المسلم بكامل الفعالية للعودة للواقع واختياره، والسيطرة عليه، بدون تخلف أو تقليد للحضارة الغربية في نزعة من نزعاتها الأخلاقية، أو لمذهب من مذاهبها الاجتماعية، وهو من ناحية أخرى يؤمن بعبقرية العلم، والنتائج الموضوعية للمناهج العلمية الغربية التي هي كسب للإنسانية جمعاء على نحو ما كانت المناهج والنتائج الموضوعية للعلم عند المسلمين كسبا للإنسانية ونواة لحضارة الغرب الحديثة.

كما أن هذه الرؤية الشاملة القائمة على مقارنة الحياة في الشرق وفيه الدين المعطل والحياة في الغرب وفيه العلم المجرد من الدين، جعلته يقف على العناصر الإيجابية التي يفتقدها، ومن هذه الرؤية انبثقت فلسفة محمد إقبال ومحاولته نحو تجديد بناء الفكر الديني في الإسلام ، (طيب، دت، صفحة 82) ولا بد للإنسان من الارتقاء إلى تصور جديد لماضيه ومستقبله

ليستطيع التغلب على المجتمع المتنافر المتصادم ويقهر هذه المدنية التي فقدت وحدتها الروحية بالتصادم الباطني بين الدين والمطامع السياسية. (عزام، 2017، صفحة 121)

ويرى اقبال في الإسلام ديناً يدعو إلى العمل والنضال وإطلاق طاقات المسلمين وتحريرها من القيود والاسرار لا إلى السكون والجمود والتعاس، فهو يمجّد الذات الإنسانية ويحترمها ويجعلها المقياس للأشياء جميعاً إذا ما عرفت نفسها وما حولها من عوالم، فهو يؤكد على شخصية الإنسان المسلم كذات واعية لا تعرف الاستكانة والذل والهوان محفزاً إياه للانطلاق والنضال حتى تصل إلى المكان الذي يليق بها تحت الشمس. (الندوي، 1960، صفحة 36).

فالدين حسب اقبال في أعلى صورته ليس أحكاماً جامدة ولا كهنوتية ولا أذكارا ولا يتيسر إلا بالدين تهيئة الإنسان المعاصر لحمل العبء الثقيل الذي يحمله إياه تقدم العلوم في عصرنا (عزام، 2017، صفحة 121)، فقد كان يسعى إلى تحويل الدين من مجرد معارف نظرية إلى معرفة متطابقة مع الخبرة الدينية نفسها، والفعل والعمل بناء على العلم والمعرفة ولقد استطاع اقبال أن يكتشف للدين قاعدة تضارع قاعدة العلم، وهذا ما أسعد المتدينين في وجه العلماء الماديين والملاحدة الذين دأبوا على التباهي بانفراد العلم بالصدق واليقين. (جعفر، 1986، صفحة 46).

فالإسلام لا علاقة له بضيق الفكر، لأنه دين جامع ونظام شامل لحياة الإنسان مثل المساواة والأخوة الروحية، والمحبة، والعطف على نوع بني الإنسان ورفعته شأن الإنسان وأفضليته

رابعا- تفعيل مبدأ الاجتهاد:

عندما أراد محمد إقبال إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام، كان من الطبيعي أن يتناول موضوع النظام التشريعي في الإسلام ليواكب المسلمون الحياة الحاضرة وليأخذوا زمام الحياة والحضارة في ضوء عقيدتهم وشريعتهم، ولا شك أن النظام التشريعي هو الميدان التطبيقي للإسلام، (طيب، دت، صفحة 124) والنظام التشريعي يعتمد على الوحي والعقل أو الاستنباط الذي يكون بالاجتهاد.

فكان محمد اقبال يعتقد أن الإسلام أقر هذا المبدأ مع التوفيق بين الثابت والمتغير باستمرار، ومن المعلوم أن علماء الفقه يعترفون بالاجتهاد أصلاً من أصول التشريع، ولكنه مقيد عندهم بشروط يصعب توافرها بسهولة، ولذلك آل الأمر بالفقه الإسلامي إلى إغلاق باب الاجتهاد تشدداً في الأخذ بتلك الشروط، ودرعا للمخاطر التي كانت تهدد المجتمع الإسلامي من جراء ذلك الانفتاح، ولذلك آلت أحوال المسلمين الجمود والتخلف عن ركب الحياة، (طيب، دت، صفحة 130) ولهذا حين توقفت حركة الاجتهاد في الفقه الإسلامي عند حدود الأحكام والمسائل التي قررها الفقهاء المجتهدون، أصيب الفقه الإسلامي بنكسة (طيب، دت، صفحة 125) عظيمة، يقول اقبال: ويؤسفنا ان هذا الأصل الذي يهب الأمة الحياة لم يعمل عمله في المسلمين، إن من أقوى أسباب ضعف المسلمين إهمال هذا الأصل، اعني إبطال الاجتهاد. (اقبال، تجديد الفكر الديني في الاسلام، 2011، صفحة 231)

فابتعد الفقه من أجلها عن الحياة العامة للأمة الإسلامية سوى ما كان يخص الأحوال الشخصية وازداد حرجاً وبعداً عن الواقع بإهماله، وخاصة بعد ما انفتحت المجتمعات الإسلامية أمام الحضارة الغربية، وتأثرت بها مباشرة في جميع مجالات الحياة الاجتماعية الاقتصادية، ودخلت الاحكام الوضعية والقوانين الحديثة مدخل الاحكام الشرعية.

ولما انقطعت الصلة بين حياة المسلمين وبين شريعتهم في مجال الحقوق والأحكام والتنظيمات، وما استتبع ذلك من تعطيل للشريعة وتمجيد للمبادئ الشرعية نشأت هوة عميقة بين الإسلام والوقائع الحضارية والاجتماعية والسياسية

والاقتصادية، وبذلك يقوم خصوم الإسلام والجاهلون بأحكامه وشريعته بطرح عدة مشكلات تحتل مكان الصدارة في المناقشات الدائرة بين المفكرين المسلمين في الوقت الحاضر، وهذه المشكلات هي:

1_ عدم إمكان تطبيق الشريعة الإسلامية في الحياة المعاصرة فيما يتعلق ببعض الأحكام التي تبدو منفية لكرامة الإنسان وحقوقه المشروعة كقطع يد السارق ورجم الزاني المحصن.

2. عدم صلاحية الأحكام الفقهية للتطور لأنها أحكام لها صفة دينية فحسب وليست أحكاما قانونية، فالحكم الديني ثابت والحكم القانوني يقبل إعادة النظر والتعديل حسب مقتضيات الحياة الاجتماعية وتطور الفكر الإنساني، ومن هنا يأتي انعدام الصلاحية أو القابلية أي أن قوانين الفقه الإسلامي دينية وليست مدنية. (طيب، دت، صفحة 126)

3_ تحريم الإسلام لنظام الفائدة والربح في المعاملات التجارية والتعامل مع البنوك بينما تقوم الحياة الاقتصادية المعاصرة على أساس التعامل مع البنوك وقوانين القروض والفوائد والتخطيط للنهوض بالاقتصاد القومي اعتمادا على إنجازات المشاريع الضخمة بفضل تلك القروض.

4_ وجود أوضاع اجتماعية واقتصادية ليس لها حكم في الفقه الإسلامي ولا يمكن تجاهل تلك الأوضاع بسبب أن الإسلام لم يحدد لها أحكاما، فمثلا حدد الإسلام الأصناف التي تجب فيها الزكاة في حدود الأوضاع الاقتصادية القديمة والزراعية، أما في العصر الصناعي والاستثماري الحديث فلا يوجد شيء من التحديد، وكذلك نظام التأمين بمختلف مستوياته غير وارد في الفقه الإسلامي، فهل تراجع الحياة في المجتمع الإسلامي عند حدود الحياة القديمة أم تتحرك الأحكام الفقهية وتواكب التطور.

_ وللدرد على هذه التساؤلات ناقش إقبال الشريعة الإسلامية مقدما مقترحات بشأن تشريعي متطور:

يرى محمد إقبال أن الإسلام أنشأ حركة ثقافية قائمة على أساس النظر إلى الكون باعتباره متحركا متغيرا على الدوام، وينتهي إلى الحكم بأن الإسلام من أجل بناء وحدة إنسانية لا تمايز فيها بين السلالات والأجناس، ينطلق من مبدأ اعتبار أن الحياة الروحية هي الال والمنشأ في بناء الأمة (إقبال، تجديد الفكر الديني في الاسلام، 2011، صفحة 168)، كما يرى أن هناك ربطا بين انطلاقة الإسلام الحضارية وبين احتضار الحضارات القديمة قبل ظهور الإسلام، كي يؤكد أن العالم كان في حاجة إلى ثقافة جديدة، وانبثقت هذه الثقافة الجديدة من شبه الجزيرة العربية، ويؤكد أيضا أن الحياة عندما تحتاج إلى التوجيه احتياجا شديدا فالفطرة تتدخل في توجيهها. (إقبال، تجديد الفكر الديني في الاسلام، 2011، صفحة 169).

خاتمة:

تجلت نتائج الفكر التجديدي للدين عند محمد إقبال في العديد من الجوانب التي أثرت بشكل كبير على الفكر الإسلامي الحديث والمجتمعات الإسلامية. ومن أبرز هذه النتائج:

- تعد فلسفة إقبال من تلك الفلسفات الحية المفتوحة، وكانت فلسفة كرد فعل للأحوال التي وجدها إقبال في عالمه وكان من واجبه نقدها وتغييرها وهذا يدل على أنه لم يكن فيلسوفا فحسب، بل كان أيضا مصلحا فكريا.
- كانت حياة محمد إقبال مليئة بالنشاط الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي والتربوي، إذ لم تقتصر حياته الثقافية والعلمية على التدريس والمحاماة بل سعى إلى تقديم كل ما فيه صلاح للإنسان والإنسانية.
- فقد رأى إقبال أنه لا تعارض بين الدين والعلم الصحيح، بل هما متكاملان في بناء الحضارة الإنسانية. لذا دعا إلى الاستفادة من العلوم الحديثة والتكنولوجيا في خدمة الإنسانية، دون التخلي عن القيم الروحية والأخلاقية.

- لقد رأى إقبال أن السبب الرئيسي وراء هذا التخلف الحضاري هو جمود الفكر الديني، وابتعاده عن روح الإسلام الحقيقية. ولذلك، دعا إلى ضرورة إعادة النظر في المفاهيم الدينية، وتجديد الاجتهاد، وتفعيل دور العقل في فهم الدين.

- تمكن إقبال من تقديم رؤية تجمع بين الحفاظ على القيم الإسلامية الأصيلة والاستجابة للتحديات الحديثة، مما ساهم في بناء تصور شامل للنهضة الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو الحسن علي الندوي. (1960).: روائع اقبال . سوريا: دار الفكر.
2. بدران بلحسن. (21 العدد 84, 2016). المدخل النقدي ل'أداة بناء الفكر الإسلامي عند العلامة محمد إقبال. إسلامية المعرفة "مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، صفحة 43.
3. رائد جبار كاظم. (2009). فلسفة الذات في فكر محمد اقبال . سوريا: دار نينوى.
4. صلاح الدين محمد الأزهرى و زمخشري بن حسب الله طيب. (دت). محمد اقبال وموقفه من التغريب والتجديد _دراسة وصفية تحليلية، (— دط، دت). دم: Penerbit UND HAR PRESS .
5. عبد الودود شبلي. (دت). رجال ومواقف محمد اقبال. مصر: مكتبة مدبولي.
6. عبد الوهاب عزام. (2017). محمد اقبال سيرته وفلسفته وشعره. مصر: مؤسسة الهنداوي.
7. علي بن عبد الله بن علي سالم. (1430هـ). آراء محمد اقبال الاعتقادية. المملكة العربية السعودية: جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
8. محمد اقبال. (2011). تجديد الفكر الديني في الاسلام. القاهرة: دار الكتاب المصري.
9. محمد اقبال. (2013). ديوان الاسرار والرموز. مصر: مؤسسة هنداوي.
10. محمد البهي. (1957). الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. مصر: مكتبة وهبة.
11. محمد كمال جعفر. (1986). النبض والحيوية في الفلسفة الدينية لإقبال. مصر: مكتبة مدبولي.
12. مصطفى فاضل الخفاجي. (المجلد 6 العدد 4, 2016). الخطاب التجديدي عند محمد إقبال (الوجود انموذجا). مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، جامعة بابل، العراق، صفحة 244.